(عيد الميلاد)

بقوة يأتي

من المعتاد عند الحديث عن حادثة الميلاد أن يتأمل الشراح في وداعة طفل المزود، واتضاعه، وإخلائه لذاته، وحقارة المزود. ومن المعتاد أيضاً عند الحديث عن حادثة القيامة أن يتأملوا في قوة المسيح القائم، وعظم ومجد نصرته. بل أن الكنيسة يحلو لها طوال أسبوع الآلام أن تتغنى له: "لك القوة والمجد والبركة والعزة". وهكذا ارتبط الميلاد في الأذهان بإخلاء الذات ومظهر الفقر والضعف، بينما ارتبطت القيامة بالقوة والقدرة والعزة.

أما اليوم فإنني أود أن أستبدل الزوايا وأتأمل في استعلان قوة الله في الميلاد مستنداً في ذلك على نبوة أشعياء العجيبة عن ميلاد المسيح حين قال: "هوذا السيد الرب **بقوة يأتي** وذراعه تحكم له" (أش٤٠: ١٠). وليست تلك النبوة الوحيدة لأشعياء عن قوة الله المزمعة أن تستعلن في ميلاد ابنه بل تنبأ أيضاً قائلاً: "ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصت من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة **والقوة** روح المعرفة ومخافة الرب" (أش١١: ١-٢). بل داود أيضاً تنبأ قائلاً: "طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه" (مز١٨:٩)، وملاخي قائلاً: "ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار" (ملا٣:٢).

أما أول مظاهر القوة في الميلاد فهو قول الملاك لزكريا عن يوحنا المعمدان السابق للمسيح أنه: "يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته" (لو١:١٦). ثم أيضاً قوله للسيدة العذراء: "الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللكِ فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله" (لو١:٣٥). يعني ذلك أن الإعداد لمجيء المسيح جاء بقوتين منحهما الروح القدس لكل من يوحنا المعمدان كسابق، وللسيدة العذراء كمعمل لاتحاد اللاهوت بالناسوت. أيضاً لما أدركت السيدة العذراء قوة الله المزمعة أن تُستعلن في ولادته منها ترنمت مبتهجة قائلة: "صنع قوة بذراعه" (لو١:٥١). بل أن يوحنا المعمدان نفسه شهد فيما بعد عن السيد المسيح قائلاً: "ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه" (مت٣:١١).

فالسيد المسيح لم يكن أقوى منه فقط في خدمته ومعجزاته بل أيضاً في حادثة ميلاده. فإن كان ميلاد يوحنا المعمدان ميلاداً معجزياً بسبب شيخوخة والديه حتى قيل عنه: "فوقع خوف على كل جيرانهم وتُحُدث بهذه الأمور جميعها في كل جبال اليهودية" (لو١:٦٥)، إلا أن ميلاد المسيح كان أكثر قوة في معجزيته بسبب بتولية أمه، وبسبب كل العجائب التي صحبته من ظهور نجم المشرق، وظهور جمهور من الجند السماوي للرعاة، وما حدث لهيرودس الذي قيل عنه أنه "اضطرب وجميع أورشليم معه" (مت٢:٣)

ليتك يا الله تعطنا بحسب غنى مجدك أن نتأيد بتلك القوة التي لتجسدك بروحك في إنساننا الباطن لكي نسبحك قائلين: "قدوس الله، **قدوس القوي**، قدوس الحي الذي لا يموت الذي ولد من العذراء ارحمنا"، ونترنم في ميلادك كما في صليبك وقيامتك هاتفين: "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين".